الهجرة اللبنانيّة في عهد الانتداب
(١٩٢٠ ـ ١٩٤٢)

الدكتور بطرس لبكي*

تميّزت حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ بانكفاء شبه كامل للهجرة اللبنانيّة. أمّا في أثناء الحقبة الممتدّة بين الحربَيْن العالميّتَين، فتحكّمت بالهجرة عواملُ متناقضة: بين عام ١٩١٨ وعام ١٩٢٩، استئناف الهجرة بسبب النتائج المفجعة لحرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ وانتعاش اقتصاديّ واستقرار سياسيّ في لبنان. أمّا بين عام ١٩٢٩ وعام ١٩٣٩، فأزمة اقتصاديّة في لبنان وبلدان الاغتراب.

وتأثّرت، من جهة أخرى، حركة الهجرة ببعض الإجراءات التنظيميّة التي وضعتها السلطة المنتدَبة: القرار رقم ٢٩٧٥ تاريخ ١٩٢٤/١٢/٤ الذي وضعه المفوّض السامي الفرنسيّ لحماية المهاجرين من جشع وسطاء شركات السفر، القوانين التي وضعت في الولايات المتّحدة الأمريكيّة عام ١٩٢١ وعام ١٩٢٤ وعام ١٩٢٩ لتحدّ من الهجرة إليها. وهذه المجموعة من الإجراءات ضغطت على الهجرة من لبنان ووجّهتها نحو أمريكا الجنوبيّة (البرازيل والأرجنتين بشكلٍ خاصّ) ونحو إفريقيا السوداء[1].

(*) أستاذ في الجامعة اللبنانيّة، نائب رئيس مجلس الإنماء والإعمار.

(١) راجع، إيلي صفا، الهجرة اللبنانيّة، منشورات كليّة الحقوق في جامعة القدّيس يوسف، بيروت، ١٩٦٠ (بالفرنسيّة)، ص ١٩٣.

لهذا السبب لم تكن الحقبة الممتدَّة من عام ١٩١٨ إلى عام ١٩٣٩، حين كان لبنان خاضعًا للانتداب الفرنسيّ، حقبة «مجيدة» في تاريخ الهجرة من لبنان كما أشرنا سابقًا. ونبدأ دراسة تلك الحقبة بعرض الوقائع الإحصائيَّة الكبيرة العائدة للهجرة اللبنانيَّة إبَّان تلك الحقبة.

كان متوسِّط العدد السنويّ لمغادري لبنان بين عام ١٩١٩ و١٩٣٨ ٤٤٠٠ شخص. يبيِّن الجدولان رقم ١ و٢ والرسم البيانيّ رقم ١ توزُّع هذا العدد في الزمان والمكان[١].

نلاحظ جيِّدًا تأثيرات أزمة عام ١٩٢٩ على حجم الهجرة. فالأزمة الاقتصاديَّة التي عانت منها بلدان الاغتراب الرئيسيَّة في القارَّة الأمريكيَّة، (الأرجنتين والبرازيل والولايات المتَّحدة الأمريكيَّة)، حدَّت من إمكانات العمل فيها وبالتالي انخفضت قوَّة جذب المهاجرين اللبنانيِّين إليها. وبالمقابل بدأت المستعمرات الإنكليزيَّة والفرنسيَّة في إفريقيا تجذب أكثر فأكثر المهاجرين اللبنانيِّين.

(١) راجع، يوسف كرباج وفيليب فارغ، الوضع الديمغرافي في لبنان، تحليل المعطيات. منشورات مركز الأبحاث في معهد العلوم الاجتماعيَّة، الجامعة اللبنانيَّة، ١٩٧٤، بيروت، المجلَّد الثاني، ص ٣٩ (بالفرنسيَّة).

جدول رقم ١:

حركة هجرة اللبنانيّين بين الحربَين: توزّعها حسب الأجناس والاتّجاهات ورصيدها.

السنة	العدد الإجمالي للمهاجرين	منهم ذكور	منهم نساء وأطفال	المهاجرون العائدون إلى لبنان	الحوالة المحاصلة لسكان لبنان	الريع الحاصل لسكان لبنان
١٩٢١	٦٥٣٨	—				
١٩٢٢	٧٧٧٩	—				
١٩٢٣	٨٦١٤	—				
١٩٢٤	٦٣٧١	—				
١٩٢٥	٧٦٥٠	—				
١٩٢٦	٧٤٨٧	—	—			
١٩٢٧	٣٧٢٥	١٩٥٠	١٧٧٥	—	—	—
١٩٢٨	٥٩٩٨	٣٧٣٠	٢٢٦٨	٢٤٤١	٣٥٥٧	
١٩٢٩	٥٠٤٧	٢٨٣٩	٢٢٠٨	٢٥٧١	٢٤٧٦	
١٩٣٠	٣٨٨٣	١٧٨٦	٢٠٩٧	٢٠٨٦	١٧٩٧	
١٩٣١	١٣٨٧	٦٧٣	٧١٤	٢٣٦١	—	٩٧٤
١٩٣٢	١١٧١	٥٤٦	٦٢٥	١٩٤٤	—	٧٧٣
١٩٣٣	١٥١٦	٧٤٤	٧٧٢	١٤٢٢	٩٤	
١٩٣٤	١٦٩٩			١٣٠٠	٣٩٩	
١٩٣٥	١٩٩٢			١٠٠١	٩٩١	
١٩٣٦	٢٢٧٧			١٣٨١	٨٩٦	
١٩٣٧	٣٣١٥			١٨٣٤	١٤٨١	
١٩٣٨	١٤٣٩			١٧١٥	—	٢٧٦

المصدر: إيلي صفا، الهجرة اللبنانيّة، ص ١٩٥ .

جدول رقم ٢:

توزّع الهجرة اللبنانيّة بين الحربَين حسب بلدان المقصد.

السنة	الولايات المتحدة الأميركية	البرازيل	الأرجنتين	أوروغواي	أفريقيا الإنكليزية	السنغال	العدد السنوي الإجمالي
١٩٢١	—	—	—	—	—	—	٦٥٣٨
١٩٢٢	—	—	—	—	—	—	٧٧٧٩
١٩٢٣	٧٧٨	٢٣٢٧	١٨٤٤	١٠٠	٢٧	٦٦٤	٨٦١٤
١٩٢٤	٤٠٠	١٦٩٨	١٠٩٤	١٢٣	٤٤	٧٦٤	٦٣٧١
١٩٢٥	—	—	—	—	—	—	٧٦٥٠
١٩٢٦	٢٧٧	٣٠٢٦	٢٦٦	١٢٨٥	٢٨	٩٠٦	٨٤٨٧
١٩٢٧	—	—	—	—	—	—	٣٧٢٥
١٩٢٨	٣٤١	١٧٩٧	٨٣٨	١١٥٨	٢٨٣	٢٦٨	٥٩٩٨
١٩٢٩	٤٤٢	١٣٧٠	٩٩٣	٣٥٤	٣٦١	٢٥٢	٥٠٤٧
١٩٣٠	٣٣٢	٧٥٧	٦٣٨	٢٠٠	١٨٧	٤٢٠	٣٨٨٣
١٩٣١	١٨٠	١٨١	٢٤٨	٨٦	١٩٩	١٥٠	١٣٨٧
١٩٣٢	١٤٩	٢٥٩	١٣٠	٣٥	١٩٢	١٧٧	١١٧١
١٩٣٣	١٣٥	٤٤٣	١٢٧	١٩	٢١٢	٢٠١	١٥١٦
١٩٣٤	١٠٠	٤٠٩	١٨٠	٢٩	١٤٩	٣٠٨	١٦٩٩
١٩٣٥	١٠٣	٣٤٦	١٧٨	٢٤	٣٤٥	٤٨٩	١٩٩٢
١٩٣٦	٩٩	٣٠٠	١٦٦	٢	٤١٢	٥٣٢	٢٢٧٧
١٩٣٧	١٦٢	٣١٦	١٧٩	١١٤	٦٦٦	١٢٣٧	٣٣١٥
١٩٣٨	٦١	١٣٩	١٤٥	١١	٢٢٩	٤٣٦	١٤٣٩

المصدر: إيلي صفا، المرجع السابق، ص ١٩٦ .

رسم بيان رقم ١:

الهجرة اللبنانيّة السنويّة بين الحربَين العالميّتَين (١٩٢١ ـ ١٩٣٩)

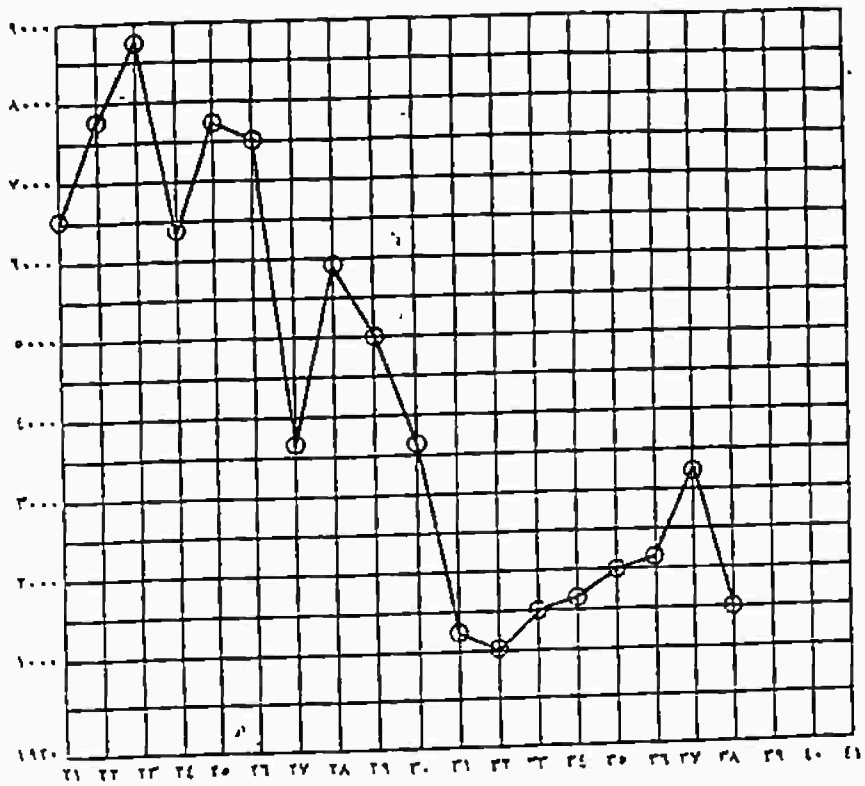

نعرض فيما يلي المعطيات التي توافرت لنا عن الهجرة إلى بعض البلدان.

١ ـ الهجرة إلى البرازيل

يصف مُراقبٌ مطّلع وقائع الهجرة في تلك الحقبة ويعلّق عليها فيقول:

«دخل إلى البرازيل بين عام ١٩١٤ و١٩٤١ /٤٥٧٧٥/ مهاجرًا ملقّبين «بالأتراك» أو «بالسوريّين» لكن غالبيّتهم من أصل لبنانيّ.

كانت الهجرة اللبنانيّة إلى البرازيل في تلك الحقبة قد تطوّرت تطوّرًا كبيرًا فانتقلت تباعًا من عهد الروّاد إلى عهد باعة الكشّة المتجوّلين في المرافئ الكبرى (ريو دي جنيرو) فإلى إنشاء المخازن الصغيرة في المرافئ وبداية البيع المتجوّل خارجها. وأصبح المغتربون الذين جمّعوا الثروات أكثر من غيرهم، تجّارًا كبارًا وصناعيّين وأصحاب بنوك.

إنّ أزمة عام ١٩٢٩ التي أنعشت الصناعة البرازيليّة ساهمت في بروز هذه الفئات. يمكننا ذكر بعض أفرادها، خاصّة الذين تجمّعوا في ساو باولو:

- في الصناعات الحريريّة والصوفيّة والتخريم: عزيز نادر المعلوف.
- في الصناعة القطنيّة: يافث إخوان، فلفاط إخوان وأندراوس... يليهم آل شقرا وخير وسكّر وحرب وأبي نادر وطعمه وشديد وسمعان.
- في صناعة القبّعات: آل خوري وسركيس... وشمل اللبنانيّون في الصباغة وخياطة القمصان وصناعة الأحذية وربطات العنق. إنّ ما يقارب ٦٠ إلى ٧٠٪ من المنتجات المذكورة المصنّعة في البرازيل عام ١٩٣٧/١٩٣٨ كانت من إنتاج مصانع المغتربين في مقاطعتي الريو وساوباولو.
- في صناعة الأحذية يمكننا ذكر مصنع قازان في الريو بالإضافة إلى العديد من مصانع الجلد. كان الحضور اللبنانيّ قويًا جدًّا في هذين النشاطين الأخيرين.

ففي مقاطعة ساوباولو (التي كانت وقتها المركز الصناعيّ البرازيليّ) -كان

اللبنانيّون يملكون ٧٠٪ تقريبًا من مصانع النسيج التي يتراوح عدد العمّال فيها بين ٥٠ و٢٠٠ عامل.

وصف الصحافيّ يوسف إسكندر نصر، في تقرير رفعه إلى رئيس الجمهوريّة اللبنانيّة عام ١٩٣٨، أوضاع المغتربين ودورهم في المجالات الصناعيّة والتجاريّة بعد جولة قام بها إلى البرازيل والمستعمرات الإنكليزيّة والفرنسيّة في أفريقيا[1]. نثبت هنا جدولاً آخر من هذا التقرير يتناول المؤسّسات الصناعيّة التي يملكها المغتربون اللبنانيّون في ميادين الغزل والنسيج والألبسة في منطقة ساو باولو فقط.

(١) راجع يوسف إسكندر نصر، تقرير منشور في كتاب نبيل حرفوش عن الحضور اللبنانيّ في العالم، مطبعة الكريم، جونيه، ١٩٧٤، ص ٣٩٣ ـ ٤١١.

جدول رقم ٣:

المؤسّسات الصناعيّة اللبنانيّة في فروع الغزل والنسيج والألبسة في مقاطعة ساو باولو عام ١٩٣٧/١٩٣٨.

إسم صاحب الفبركة	الموقع	رأس المال	عمّال	مغازل	دواليب	قوّة محرّكة	نوع المصنوعات
بافت وشركاه	ايرنغا	٥ ملايين	٢٢٠٠	٤٠٠٠٠	١٤٠٠	٢٥٠٠	نسيج قطن ملوّن وأبي وكرناش الخ
قلفاط وشركاه	ساو بول	٣ ملايين	٤٥٠	٧٥٠٠	٢٨٠	٥٠٠	نسيج خام
أ. قطيط وشركاه	ساو بول	١ مليون ومائة ألف	٣٠		٢١	٣٥	نسيج ملوّن
ف. عزّام وشركاه	جوندياهي	٦ ملايين	٢٥٤	١٣٥٠٠	٢٤٢	٤٨٠	نسيج خام وملوّن
حسراتيل وروفائيل بافت	بطاطايس	٦ مئة ألف	١٤٠	٢٠٠٠	٨٠	٦٠	معطّلة
جبران صبحيّة وشركاه	ساو بول	١ مليون ونصف	١١٢	٤٠٠٠	٦٤	٢٢٤	نسيج خام وغزل
جبران صبحيّة وشركاه	ساو بول	٩ مئة ألف	٤٥	٤٠٠٠	٧٢	٥٠	نسيج خام
موصللي إخوان	ساو بول	٥ مئة ألف ونيف	٤٤	٤٠٠٠	٢٠	٦٢	نسيج خام وملوّن
معلوف، موصللي وشركاهما	ساو بول	٣ ملايين و٩٦٠ ألفًا	٢٨١	٤٠٠٠	٨٢	١٩٠	نسيج ملوّن وأبيض
معلوف، موصللي وشركاهما	ساو بول	١ مليون و٢٤٦ ألفًا	٢٨١	٤٠٠٠	١٣٤	١٩٠	نسيج أسمر
معلوف، موصللي وشركاهما	ساو بول	١ مليون و٩٢٤ ألفًا	٢٨١	٤٠٠٠	٥٧	٥٩	معطّلة
معلوف، موصللي وشركاهما	جوندياهي	٦٨٢ ألفًا	٤١	٩٩٠	٥٧	٩٦	خيط قطن
معلوف، شهوان وشركاهما	ساو بول	مليون و١٢٥ ألفًا	١٥	٤٠٠	٤٦	١٧٠	معطّلة
نعمة قالوش وشركاه	ساو بول	١١٥ ألفًا	٤	٤٠٠	٤	٥	نسيج قطن
ملحم وأسعد	ساو بول	مليون و٤٠٠ ألف	٤٢٣	٧٠٠٠	٣٠	٣٠	مناشف وثياب حمامات
عبيد يوسف وإخوانه	ساو بول	٢٠٠ ألف	٣٥	١٢		٢٠	كلسات حرير وقطن
ب. جرجس	ساو بول	٧٠٠ ألف	٣٥	١٢		١٢	قمصان
د. شويري	ساو بول	١٠٠ ألف	١٨٧	١٢		١٣٩	كلسات حرير وقطن

إسم صاحب الفبركة	الموقع	رأس المال	عمّال	مغازل	دواليب	قوّة محرّكة	نوع المصنوعات
أمين بدران وشركاه	سان بول	٧٥٠ ألفًا	٧٢	١٢	٣٠		كلسات حرير وقطن
أمين تمّور وشركاه	سان بول	٤٠ ألفًا		١٢		١٠	معطّلة
إسطفان ونجيم وشركاهما	سان بول	٥٠٠ ألف	٢٣٠	١٢		٣٥	كلسات وحرير وقطن
فارس تمر وشركاه	سان بول	٥٠٠ ألف	٢٢٠	٣٠٠٠		١٢٠	كلسات وحرير وقطن
ي. أسعد	سان بول	٢ مليون و٦٠٠ ألف	٢٣٠	٦٥٠٠		١٠٠	كلسات وحرير وقطن
حرجي حدّاد	سان بول	٥ آلاف	٢			٤	تخريم
غانم بدران	سان بول	٢٠ ألفًا	١			٢	كلسات قطن
عكرة إخوان	سان بول	٦٠ ألفًا	٦			٤	كلسات، قمصان، كلسونات
يعقوب وأسرة	سان بول	٢١٠ آلاف	٣٨			٨	كلسات، قمصان، كلسونات
حرجي باغوس وشركاه	سان بول	١٢٠ ألفًا	٣٠			٧	كلسات، قمصان، كلسونات
خوري، فريحة وشركاهما	سان بول	٤٥٠ ألفًا	٤٦			١٣	كلسات حرير وقطن
ميخائيل عطل	سان بول	٥٠ ألفًا	٢٤			٩	قمصان
نعيم دهاب المعلوف	سان بول	٥ آلاف	٤			٩	
نصّار وشركاه	سان بول	٢٠٠ ألف	٢٥			٢٠	كلسات حرير وقطن
بطرس داود	دوس كمبوس	٥٠ ألفًا	٣٠			٥	كلسات حرير وقطن
صيحيّة إخوان وشركاهم	سان بول	٥٠٠ ألف	٤٩	٣١٠٤	١٢٠		قمصان
ت. حدّاد	سان بول	٥ آلاف	٤			٤	كلسات حرير وقطن
وديع قطيني معلوف	سان بول	٤٠٠ ألف	٦٩	٢١٦		٢٢	قمصان
إبراهيم إندراوس وإخوانه	براغسا	مليون و٥٠٠ ألف	١٢٠	١٥٠٠		١٠٠	خيط حرير طبيعي
أ. فارس إسبر وشركاه	سان بول	٢٠٠ ألف	٢٨	٢٠		١٢	خيط حرير طبيعي
إبراهيم أندراوس وإخوانه	سان بول	مليونان و٧٠٠ ألف	٣٥٠	٣٠٠		١٢٠	نسيج متنوّع
بوغوس وشركاه	سان بول	٢٠٠ ألف	٣٠	٣٠		٢٥	نسيج متنوّع
ب. غريغوريوس	سان بول	١٠٠ ألف	١١	٢٠		٥	معطّلة

إسم صاحب الفبركة	الموقع	رأس المال	عمّال	مغازل	دواليب	قوّة محرّكة	نوع المصنوعات
ب. طعمة وشركاه	سان بول	٢٠٠ ألف	٤٤	٣٠		٢٠	نسيج مختلف ومتنوّع
بشارة نصّار	سان بول	٢٠٠ ألف	٢٣	٢٠		٢٠	نسيج مختلف ومتنوّع
قالوش وكعدان	سان بول	٣٠٠ ألف	٤١	٥٠		٢٨	نسيج مختلف ومتنوّع
داوود بالت	سان بول	١٠٠ ألف	٥٢	٣٩		٤٠	نسيج مختلف ومتنوّع
فارس إخوان	سان بول	٣ ملايين	٧٢٥	٢٦٩		١٥٦	نسيج مختلف ومتنوّع
جورج شاهين أبو حمد	سان بول	٢٠ ألفاً			٤	٣	نسيج لعقد الربطة
جورج معلوف وشركاه	سان بول	٥٠٠ ألف	٣٠٠		١٢٢	٨٣	نسيج مختلف
لطف الله وشركاه	سان بول	٣٠٠ ألف	٣٥		١٦	١٠	نسيج مختلف
م. أ. معلوف	سان بول	١٠٠ ألف	٣٨		٣٦	٢٢	نسيج مختلف
منصور بيطار وشركاه	سان بول	٣٠٠ ألف	٢٥		١٦	١٢	نسيج مختلف
مطر وشهوان	سان بول	٤٤١ ألفاً	٧٨		٣٨	٢٧	نسيج مختلف
ب. غريغوريوس	سان بول	١٠٠ ألف	١٩			٣	تبتنا وتخريم
معلوف، موصللي وشركاهما	سان بول	٢٤٠ ألفاً	موزونة				
تشراني إخوان	سان بول	٤٠ ألفاً	١٣			٦	شريط

قام المغتربون في القطاع التجاريّ بدور هامّ في مدن الداخل التابعة لمختلف المقاطعات. بالإضافة إلى تجارة الأقمشة عملوا في تجارة الألبسة والحيوانات والملاحم. وامتدَّ نشاطهم أيضًا إلى بعض الخدمات كالفنادق والمطاعم والمقاهي وتأجير السيَّارات وقيادتها وتصليحها.

إنطلق بعض المغتربين في قطاع الزراعة وتربية الحيوانات. وأصبحت المزارع التي يملكها اللبنانيّون تُعَدّ بالآلاف وكانت الزراعات الرئيسيَّة فيها البنّ والقطن والأرزّ والذرة والمنجوكة والأشجار المثمرة (عنب وحمضيَّات) وقصب السكّر. وتعاطوا أيضًا تربية مختلف أنواع الحيوانات خاصَّة تربية الدواجن. كانت أغلبيَّة مزارع الدواجن قائمة في ولاية ساوباولو حيث كان اللبنانيّون يملكون بين ٤٥٪ و٤٨٪ من الأراضي المزروعة في النصف الثاني من الثلاثينات.

نشط اللبنانيّون في القطاع المصرفيّ وكان أنطوان جبارة أوّل من أسّس مصرفًا برؤوس أموال كلّها لبنانيَّة.

نال العديد من المغتربين اللبنانيّين امتيازات لاستثمار الخدمات العامّة (تنوير المدن، الهاتف، إلخ...) خاصَّة في ولايات ميناس، جيرايس وساوباولو[1].

تحسَّن الوضع الاجتماعيّ لهؤلاء المغتربين انطلاقًا من العشرينات نتيجة لثرائهم ودمجهم الثقافيّ الأفضل ومشاركتهم الناشطة في الحياة الاجتماعيَّة المنظَّمة كما في الحياة السياسيَّة وإنشاء مؤسَّسات العناية والاستشفاء والمؤسَّسات الثقافيَّة وتضامنهم العائليّ.

إلى جانب دورهم في النشاط الاقتصاديّ بمعناه الحصريّ نشط المغتربون اللبنانيّون في المهن الحرَّة (أطبّاء أسنان وصيادلة وصحافيّون وجامعيّون وعلماء وكتّاب). كما أنّهم شاركوا في الحياة السياسيَّة والإداريَّة حيث نجد بينهم نوّابًا وحكّامًا ومخاتير ورؤساء بلديّات وضبّاطًا في الجيش والشرطة.

---

(١) راجع المصدر نفسه، ص ٤١٠.

٢ ـ الهجرة إلى الأرجنتين

تميّزت هذه الهجرة بالمراحل نفسها لجارتها البرازيليّة انطلاقًا من مرفأي بوينس أيرس وباهيا بلانكا. يمكننا أن نذكر بين رجال الأعمال الكبار الذين برزوا فيها آل سركيس وآل سلامه وآل مكرزل الذين عملوا في التجارة والصناعة[1]. يبيّن الجدول رقم ٤ التوزّع الجغرافيّ للسكّان والجمعيّات والصحف اللبنانيّة في بداية الحقبة التي تناولتها بالبحث. كما أنّ الجدول رقم ٥ يبيّن لنا توزيع المغتربين اللبنانيّين حسب فئاتهم الاجتماعيّة ـ الاقتصاديّة، وتقديرًا لثروة كلّ فئة منهم.

جدول رقم ٤:

الحالية اللبنانيّة في الأرجنتين عام ١٩٢٠ (عدد المغتربين، الجمعيّات والصحف باللغة العربيّة)

الولاية	عدد المغتربين	عدد الجمعيّات	عدد الصحف
العاصمة	٢٠٠٠٠	٤	١٠
ولاية بوينس أيرس	٢٢٠٠٠	٣	—
كتمركا	٢٠٠٠	١	—
كوردوبا	٨٥٠٠	٢	—
كورينتس	٣٠٠٠	—	—
أنتير ريو	٢٠٠٠	—	—
خوخوي	١٥٠٠	١	—
مندوزا	١٠٠٠٠	١	—
لاريوخا	١١٠٠	—	—
سلطا	٢٠٠	—	—
سان خوان	١٥٠٠	١	—
سان لويس	١٠٠٠	—	—
سنتافه	١٥٠٠٠	—	—
ساتياغو دال أستيرو	٤٥٠٠	—	—
توكومان	٧٠٠٠	—	٢
الأقاليم التابعة لحكومة العاصمة	٤٧٧٥	—	—
المجموع	١٠٤٨٧٥	١٣	١٢

المصدر: نبيل حرفوش: مرجع سابق، ص ١٠٣.

(١) راجع إيلي صنا، المصدر المذكور، ص ٢٠٨ و٢١٧.

جدول رقم ٥:

عدد اللبنانيّين المغتربين وتقدير ملكيّتهم في عام ١٩٢٠.

فئة المغتربين	عددهم	ما يملكون بالريالات
تجّار أصحاب محلاّت	١٦٠٠٠	١٢٠ ٠٠٠ ٠٠٠
شركاء لهؤلاء التجّار	٦٠٠٠	
مستخدمون	١٠ ٠٠٠	١٨٢ ٠٠٠
باعة كشّة أو تجّار بدون محلاّت	١٥ ٠٠٠	٧٥٠٠ ٠٠٠
أصحاب مزارع وأصحاب أملاك	١٢ ٠٠٠	٦٠ ٠٠٠ ٠٠٠
عمّال	١٨ ٠٠٠	١٠ ٠٠٠ ٠٠٠
أصحاب مواشي ومرتبو مواشي	٢٠٠	٣ ٠٠٠ ٠٠٠
أصحاب صنائع وحِرَف	٧ ٠٠٠	٢١ ٠٠٠ ٠٠٠
شيوخ وعجائز وأطفال	١٥ ٥٠٠	
أبناء لبنانيّين ولدوا في لبنان	٥١٧٥	
المجموع	١٠٢ ٨٧٥	٢١٢ ٦٨٢ ٠٠٠

المصدر: نبيل حرفوش، مرجع سابق، ص ٢٠٦ و٢٠٧.

٣ ـ الهجرة إلى أفريقيا الغربيّة الفرنسيّة

كانت بلدان هذه المنطقة عشيّة الحرب العالميّة الثانية تضمّ ما يقارب ٦٦٪ من المغتربين اللبنانيّين في أفريقيا الغربيّة.

نورد فيما يلي بعضًا من الدراسة المميّزة التي خصّ بها ميشال أسمر الجاليات اللبنانيّة في أفريقيا الغربيّة[1]:

(١) راجع ميشال أسمر، الهجرة اللبنانيّة والإنماء في أفريقيا الغربيّة الفرنسيّة، رسالة لنيل شهادة الجدارة للدروس المعمّقة في علم اجتماع الإنماء، معهد العلوم الاجتماعيّة، الفرع الثاني، الجامعة اللبنانيّة، الراية، ١٩٨٣ (بالفرنسيّة)، ص ١٠٩ ـ ١١١.

وتكمّل هذه الحقبة الحقبة الأولى، وتتميّز بتدعيم المكتسبات الأولى وضع المغتربين وبتنويع نشاطاتهم».

دعم المغتربون وضعهم بتوفير المساعدة لمواطنين وفدوا حديثًا أو بتوجيه الدعوة لذويهم المقيمين في الوطن، لموافاتهم إلى بلاد الاغتراب.

قدّم المغتربون للمواطنين الوافدين حديثًا المسكن ومنحوهم مساعدة ماليّة. يبيّن تجمّع المغتربين بحسب بلدات المنشأ الأصليّ الأجوبة على الدعوات التي وجّهها المغتربون الأوائل إلى ذويهم: ففي غينيا عام ١٩١٨ كان مغتربو أربع بلدات لبنانيّة يمثّلون ٧١٪ من مجموع المغتربين اللبنانيّين فيها: بيت شباب ١٧٥ مغتربًا أي نسبة ٤١٪، صور ٧٦ مغتربًا أي نسبة ١٨٪، جويّا ٢٦ مغتربًا، وبكفيّا ٢٥ مغتربًا أي نسبة ٦٪ لكلّ من البلدتين.

هناك دعم آخر أو بالأحرى تقدّم أحرزته الجالية بسبب حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨، عندما تجنّد الفرنسيّون ممّا أحدث بلبلة في السوق، خاصّة في السنغال، حيث كان تأثير اللبنانيّين محدودًا بسبب التجّار الفرنسيّين الذين كانوا يحتكرون بشكل أفضل تجارة البلاد والدخل، وكان الفستق قد أصبح إنتاجًا زراعيًا وليس إنتاجًا قطافيًا. وقد شجّع هذا الوضع انطلاق العنصر اللبنانيّ في السنغال خاصّة.

يتميّز هذا التغيير بتحرّر جزء من المغتربين اللبنانيّين: تطوّر بعض التجّار من مجرّد وسطاء يتّصلون بالشركات الأوروبيّة لتصريف الإنتاج الذي اشتروه أو لشراء البضائع إلى وسطاء كبار تجاه عملاء شركات التصدير أو إلى سماسرة تجاه مواطنيهم. وأنشأ تجّار آخرون علاقات استيراد وتصدير مع وسطاء في باريس أو مرسيليا وأخيرًا تحرّرت أكثريّتهم من وصاية المؤسّسات الأوروبيّة بالعمل لحسابهم الخاصّ.

جاء التنويع على مستوى البضائع المعروضة للبيع. ولّى زمان تجارة الكشّة وصارت البضائع تتألّف من المواد الغذائيّة والألبسة وكلّ ما يميّز البضائع المتنوّعة في سوق البيع. وأدّت أيضًا كثافة المغتربين اللبنانيّين إلى تخصّص بعض الأشخاص في قطاعات معيّنة، وهكذا نجد في الإحصاءات عن غينيا في عام

١٩١٨ مهنة اللحّام والفرّان والأسكافيّ. إنّ تنويع النشاطات هو في الوقت نفسه واسطة لتدعيم الاستيطان وتعبير عن الصلابة وإرادة ترسيخ الإقامة الأصليّة وديمومتها. وقد ساعد هذا لمواجهة بعض أزمات، كأزمة الكاوتشوك مثلاً: عندما حلّ كاوتشوك المَزارع مكان كاوتشوك القطاف انتقل بعض المغتربين من الرخاء الأكبر إلى الفقر المدقع.

ظهرت في هذه الحقبة، والحقبات التي تلتها، مهارة المغتربين في معرفة نفسيّة السكّان الأصليّين:

«أصبح اللبنانيّون، من خلال عيشهم في العراء على جانب الطرقات أو الأسواق... وهم يقتاتون غالبًا على طريقة البلاد، ومن خلال اتّصالهم المستمرّ مع السكّان الأصليّين وهم متكلّمون لغتهم، أصبحوا بشكل من الأشكال «عادةً» من عادات إفريقيا. فلا يصنّف الأسود هذا الأبيض الريفيّ الخالي من الغطرسة في خانة إنسانيّة جاءت إليه من كوكب آخر، ويعتبر أيضًا أنّ كلامه اللاذع لا يحمل النبرة نفسها التي يحملها كلام الفرنسيّ. يرتاح لدى الدخول إلى حانوته المضياف أكثر من ارتياحه إلى حانوت الأوروبيّ، ويقدّر المناقشة والمساومة والأمانة، ويعجب من تكريس الوقت له والاهتمام به».

يمكننا متابعة وضع هؤلاء المغتربين بحسب كلّ بلد حلّوا فيه[1]:

٣ ـ ١ ـ السنغال:

كان الوضع عام ١٩٣٨ كما يلي: وصل عدد اللبنانيّين فيه إلى ٢٥٠٠ شخص أي ٢٠٪ من مجموع الأجانب المقيمين فيه: منهم ١٠٠٠ في دكار و٢٠٠ في كولاك و١٥٠ في زغنشور و١٠٠ في ديوربل و١٠٠ في تياس ومئة في مبكه وخمسون في ندولو و٣٠ إلى ٤٠ في كونغول. وكانت غالبيّتهم من البلدات اللبنانيّة التالية: قبّ الياس وقانا والزراريّة وصور. تطوّر عددهم خلال

(١) راجع كامل مروّة، نحن في أفريقيا ـ الهجرة اللبنانيّة ـ السوريّة إلى أفريقيا الغربيّة، ماضيها، حاضرها ومستقبلها، بيروت، ١٩٣٩، مطبعة المكشوف، ص ١٩٥ إلى ٢٣٤.

الحقبة التي نتناولها بالدرس كما هو مبيَّن في الجدول ٦ وتطوَّر عددهم من ٦٥٠ مهاجرًا عام ١٩٢١ إلى ٢٨٠٠ مهاجر عام ١٩٣٨.

كان ٩٥٪ منهم يعملون في التجارة ونحو عشرة أشخاص في الزراعة. وهناك ٢٥ تاجرًا في دكار يستوردون البضائع ويؤمّنونها لتجّار المفرّق. وفي الداخل كان ٨٠٪ من التجّار اللبنانيّين يشترون النشّ والسورغو ويبيعون المنتجات المصنّعة.

كان التجّار اللبنانيّون يملكون عام ١٩٣٨، ٧٥٪ من المؤسّسات التجاريّة في دكار و٥٥٪ من مؤسّسات الداخل و١٠٪ من المباني في دكار (من ٣٠٪ إلى ٤٠٪ من مباني البيض) و٥٠٪ من مباني الداخل. وكانوا يسيطرون كليًّا على تجارة جوزة الكولا التي يستوردونها بشكل خاصّ من شاطئ العاج وأحيانًا من سيراليون وغامبيا. فاللبنانيّون القلائل الذين عملوا في الزراعة كانوا يملكون خاصّة مزارع حمضيّات: إنتتان في بوت بالقرب من دكار وأربع في سايو كوتان وثلاث في سان لويس. وقد باشر أحدهم بزراعة الزهور في ضاحية دكار.

أحصينا في القطاع الصناعيّ ثلاثة مصانع للحلويات ومطبعة ومصنعًا للأكياس يملكها لبنانيّون في دكار، ودباغة في كاولاك.

وأحصينا في قطاع الخدمات عدّة مطاعم وفنادق يستثمرها لبنانيّون في دكار. ووجدنا أيضًا أربعة أطبّاء لبنانيّين منهم طبيبان للأسنان.

وعلى صعيد التنظيم الاجتماعيّ كان للمغتربين اللبنانيّين عدّة جمعيّات (اثنتان في دكار واثنتان في كاولاك وواحدة في سان لويس واثنتان في تيس).

وكان أحد المغتربين قد أصدر مجلّة أسبوعيّة بالعربيّة في دكار بين عام ١٩٣٠ و١٩٣٥ بالإضافة إلى أربع مكتبات تبيع مجلاّت وكتب عربيّة وفرنسيّة.

٣ ـ ٢ ـ السودان الفرنسيّ (مالي حاليًا)

كان عدد اللبنانيّين فيه عام ١٩٣٨، ٣٥٠ شخصًا تقريبًا تسكن أغلبيّتهم في باماكو، أمّا الباقون فكانوا موزّعين بين سيقو ومبتي وكايس. تطوَّر عددهم خلال الحقبة التي نتناولها بالدرس كما هو مبيَّن في الجدول رقم ٦ وارتفع عددهم من ١٦٥ شخصًا عام ١٩٢٣ إلى ٣٥٠ شخصًا عام ١٩٣٨.

كان هؤلاء المغتربون يبيعون البضائع المستوردة ويشترون الفستق والقطن والقابوق والذهب والبهائم والجلود من المنتجين... وكانوا يملكون غالبيّة المؤسّسات التجاريّة في السودان ومعظم المباني المدينيّة خاصّة المباني القائمة في العاصمة باماكو لأنّ التجّار الأوروبيّين لا يتحمّلون مشقّة الحياة في السودان.

٣ ـ ٣ ـ موريتانيا

لم يتجاوز عدد أفراد الجالية اللبنانيّة فيها الثلاثين شخصًا في عام ١٩٣٨ وكانوا مشتّتين بين سالياباي وبودور وداجانا. كانوا يشترون الفستق والصمغ والذرة البيضاء والجلود وريش النعام وبيضه من المنتجين ويبيعون البضائع المستوردة.

٣ ـ ٤ ـ غينيا

بلغ عدد أفراد الجالية اللبنانيّة فيها ١٣٦٧ شخصًا عام ١٩٣٦ و١٦٠٠ شخص عام ١٩٣٨ . كانت غالبيّتهم من البلدات التالية: بيت شباب وجويًا وصور وقانا وعينبال.

بلغ عدد اللبنانيّين المقيمين في كوناكري عام ١٩٣٨ ٢٠٠ شخص وفي بركا وبتيتموديا مئة شخص وفي لابا مئة شخص وفي كويا خمسون شخصًا وفي مامو خمسون شخصًا وفي دابولا ١٥ شخصًا وفي فارمّوريا ١٥ شخصًا وفي فورا كاريه عشرة أشخاص وفي واصولو وكوميا ١٢ شخصًا وفي موسايا عشرة أشخاص وفي بوفا خمسة أشخاص.

تجاوزت نسبة اللبنانيّين في غينيا خلال الثلاثينيّات ٩٠٪ من مجموع الأجانب المقيمين فيها وكانوا يملكون نسبة مماثلة من المتاجر في كوناكري وداخل البلاد، و٢٥٪ من المباني الخاصّة في كوناكري و٧٠٪ من المباني الخاصّة في بلدات الداخل، وتعدّت ملكيّتهم للمباني الخاصّة هذه النسبة في بعض المدن أمثال كنديا ومامو حيث كانوا يملكون فعليًا جميع المباني.

تُعَدّ غينيا من البلدان الأفريقيّة القليلة التي عمل فيها اللبنانيّون في الزراعة. إنجذب اللبنانيّون إلى زراعة الموز بشكل خاصّ وكانوا يملكون عام ١٩٣٨ ٥٠

مزرعة من أصل مئتي مزرعة مخصّصة لهذه الزراعة. بلغت مساحة مزارعهم ٣٠٪ من المساحة المزروعة وكانت أكبر مزرعة يملكونها قائمة في مامو حيث بلغ عدد الأشجار مئة ألف شجرة، وتليها مزرعة قائمة في كويا حيث بلغ عدد الأشجار سبعين ألفًا. وبلغ متوسّط عدد الأشجار في المزارع الأخرى ٥٢ ٠٠٠ شجرة.

كان بعض المغتربين اللبنانيّين يشتري الذهب من الأفريقيّين ويبيعه إلى الشركات الأوروبيّة. لم تضمّ الجالية اللبنانيّة بين صفوفها صناعيّين.

من جهة أخرى كان بين أفراد الجالية طبيب وهو اللبنانيّ الوحيد الذي كان يمارس مهنة حرّة. وكان للجالية اللبنانيّة أيضًا جمعيّة في كوناكري وأخرى في كنكان.

٣ ـ ٥ ـ شاطئ العاج

بلغ عدد أفراد الجالية اللبنانيّة عام ١٩٣٨ ٧٠٠ شخص، هاجروا بأغلبيّتهم من بلدات الزراريّة والبعليّة وبكفيّا وبيت شباب وقانا وتوزّعوا على المدن كما يلي:

١١٥ في أبيدجان و٣٥ شخصًا في غران بسان و٧٠ شخصًا في دالو و٢٥ شخصًا في غانيوا و٣٧ شخصًا في أغبوفيل و٢٠ شخصًا في مانيه و١٥ شخصًا في كلّ من أبو آسو وديفو وديبكرو وعشرة أشخاص في كلّ من تياساله ولاكوتا وأومبه وتدو وسبعة أشخاص في ساساندرا وستّة أشخاص في آنومابا وخمسة أشخاص في كلّ من سنحرفيل وآمياما.

تطوّرت هذه الهجرة ابتداء من عام ١٩٢٠ وتسارعت انطلاقًا من عام ١٩٣٠ وخاصّة من عام ١٩٣٦، كما يشير إليه الجدول ٦.

كان اللبنانيّون عام ١٩٣٨ يشكّلون نسبة ٧٨٪ من مجموع الأجانب المقيمين في شاطئ العاج ويملكون ٦٠٪ من متاجر أبيدجان وغران بسام و٩٠٪ من متاجر بلدات الداخل و٥٪ من مباني أبيدجان و٥٠٪ تقريبًا من مباني بلدات الداخل.

كان عدد اللبنانيّين الذين عملوا في الزراعة ضئيلاً جدًّا: يملك ٣ منهم مزارع للبنّ والكاكاو في غانوا وأوميه ومان.

أمّا في القطاع الصناعيّ فكان بعضهم يملك مصنعًا للحقائب وآخر لصناعة السلع العاجيّة وثالثًا لتصنيع البنّ، ونجد في أبيدجان طبيبًا لبنانيًّا يمارس مهنته فيها. أمّا في القطاع التجاريّ فكانوا يتعاطون، كما في سائر البلدان الأفريقيّة، بيع المنتجات المصنّعة المستوردة وشراء المحاصيل من السكّان الأصليّين خاصّة محصول الكولا.

كان للجالية اللبنانيّة، التي تعدّ بين أفرادها نسبة كبيرة من الشباب، جمعيّة في غران بسام.

٣ ـ ٦ ـ الداهومي

لم تتوسّع الجالية اللبنانيّة فيها بسبب القدرات التجاريّة التي يتحلّى بها سكّان البلاد الأصليّين ولم يتجاوز عدد أفرادها عام ١٩٣٨ ـ ٤٧ شخصًا، منهم ثلاثة أو أربعة أشخاص في كوتونو. تطوّر عددهم خلال الفترة كما هو مبيّن في الجدول رقم ٦.

كان بعض المغتربين المقيمين في نيجيريا وشاطئ العاج يتردّدون عليها حيناً بعد حين لإجراء بعض الصفقات التجاريّة المؤقّتة ويتركونها بعد إنجاز مهماتهم.

٣ ـ ٧ ـ التوغو

بلغ عدد اللبنانيّين عام ١٩٣٨ ـ ٨٠ شخصًا من أصل ٥٤٠ أجنبيًّا كانوا مقيمين فيها. تطوّر عددهم من ٤٠ شخصًا بعد حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ مباشرة إلى ٦٠ شخصًا عام ١٩٣٢ فإلى ٧٠ شخصًا عام ١٩٣٦.

وكان بعض المغتربين اللبنانيّين في داهومي وشاطئ العاج يأتون إلى التوغو ويقيمون فيه من وقت لآخر لممارسة بعض الأعمال التجاريّة والصيرفيّة ثمّ يرحلون عنه.

٣ ـ ٨ ـ النيجر

بلغ عدد اللبنانيّين عام ١٩٣٨ عشرة أشخاص من أصل ٥٨٨ أجنبيًا كانوا يقيمون فيه. لكن بعض التجّار اللبنانيّين المقيمين في شمال نيجيريا وفي السودان الفرنسيّ كانوا يأتون إليه في موسم الغلال. ساهم فقر هذه المستعمرة وقساوة الأحوال المناخيّة والصحّيّة فيها في الحدّ من عدد الجالية اللبنانيّة فيها.

جدول رقم ٦:

تطوّر عدد اللبنانيّين في بعض بلدان أفريقيا الغربيّة الفرنسيّة

البلد

السنة	السنغال	السودان الفرنسيّ (مالي)	غينيا	شاطئ العاج	داهومي
١٩٢١	٦٥٠	—	—	—	—
١٩٢٢	١٠٣٥	—	—	—	—
١٩٢٣	٦٥١	١٦٥	٦٨٤	٥٦	٢٣
١٩٢٤	١٥٨٥	—	—	—	—
١٩٢٦	١٢٥٣	—	—	—	—
١٩٢٨	٢٥٧٥	—	—	—	—
١٩٢٩	٢٠٨٨	—	٩٢٥	١٨٣	—
١٩٣٠	١٥٩٩	٤١١	٩٠٩	٢٤٣	٣٥
١٩٣١	٢٠٠٢	٣١٥	١٠١١	١٤٨	٤٥
١٩٣٢	١٩٣٨	٣٠٣	١٧١٤	١٧٤	٤٩
١٩٣٣	٢٠٦٤	—	—	٢٥٠	١٨
١٩٣٥	٢٧١٤	٤١٧	—	—	—
١٩٣٦	٢٥٦٠	٣٠٥	١٣٦٧	٤٥٤	٣٣
١٩٣٧	—	٣٥٠	—	—	—
١٩٣٨	٢٨٠٠	—	١٦٠٠	٧٠٠	٤٧

المصدر: كامل مروّة، مرجع سابق، ص: ١٩٧ و٢٠٣ و٢١١ و٢٣٠ ـ ٢٣١.

٤ ـ الهجرة اللبنانيّة إلى أفريقيا الغربيّة الناطقة باللغة الإنكليزيّة

إستقبلت البلدان الناطقة باللغة الإنكليزيّة في هذه المنطقة القسم الأكبر من باقي المغتربين اللبنانيّين في أفريقيا الغربيّة.

يبدو أنّ أقدم جالية في المنطقة كانت تلك التي هاجرت إلى سيراليون[1]. بلغ عدد أفراد الجالية اللبنانيّة في تلك البلاد ١٥٠٠ شخص تقريبًا في عام ١٩٣٠ لكن عددها تقلّص إلى ١١ ٠٠٠ شخص عام ١٩٣٨ من جرّاء الجذب الذي مارسه المغتربون في البلدان الأفريقيّة الأخرى. يمكننا أن نشير إلى خ. ملحم وأ. مكرزل من بين المغتربين الوافدين بغالبيّتهم من عكّار ولبنان الجنوبيّ. كان هؤلاء المغتربون يعملون في مبادلة منتجات صناعيّة مستوردة بمنتجات محلّيّة. ونجد بينهم أفرادًا عاملين في قطاعات أخرى (مزارعون، أطبّاء وأطبّاء أسنان) لكن ابتداء من عام ١٩٣٣/١٩٣٤، تاريخ اكتشاف الذهب في البلاد، اندفع اللبنانيّون في الأعمال المنجميّة (٢١ منجمًا مرخّصًا والعديد من المناجم غير المرخّصة).

من جهة أخرى كان هؤلاء المغتربون يملكون ٢٥٪ تقريبًا من الأبنية و٧٥٪ من متاجر بلدات الداخل وقد أسّسوا سلسلة من الجمعيّات عام ١٩٢٥ وعام ١٩٣٦ وعام ١٩٣٨ لاقت نجاحًا متفاوتًا.

بلغ عدد أفراد الجالية اللبنانيّة في شاطئ الذهب (غانا الحاليّة) عام ١٩٣٦ ٨٠٠ شخصًا تقريبًا، وصلوا إلى البلاد بأغلبيّتهم بعد الحرب العالميّة الأولى. كان المنشأ الأصليّ لأكبر مجموعة في هذه الجالية من مدينة طرابلس وتليها بلدتا دير الأحمر وبيت الشعّار. كانت مدينة أكرا تضمّ ٣٥٠ لبنانيًا وكذلك مدينة كوماسي. أمّا مدينة سيكوندي فخمسين. عملت غالبيّة المغتربين اللبنانيّين في تبادل المصنوعات المستوردة بمنتوجات البلاد من خلال الشركات الإنكليزيّة الكبيرة وتعاطى بعضهم التجارة مباشرة مع الخارج كما أنّ عددًا قليلاً منهم عمل في استخراج الذهب في الداخل. لكن على أثر الأزمة الاقتصاديّة العالميّة وابتداء

(١) راجع، المصدر نفسه، ص ٢١٤ إلى ٢١٦.

من عام ١٩٣٦ انطلق بعض اللبنانيين إلى العمل في القطاع الصناعي فأنشأوا مصنعًا للعطور والبودرة ومصنعًا للمشروبات الروحيّة وآخر للسجائر في كوماسي، ووظّف العديد منهم الأموال في العقارات المبنيّة في مدينتَي أكرا وكوماسي، لكن نشاطهم التجاري تركّز على البيع بالمفرّق.

يمكننا أن نشير إلى المغتربين البارزين بينهم خلال تلك الحقبة أمثال ملحم شبيب والدكتور صليبي (طبيب أسنان) وآل مالك (العاملين في استيراد الزجاج والسيّارات والنقل البرّي والشحن البحري وصناعة الألبسة الجاهزة).

كانت الجالية اللبنانيّة في شاطئ الذهب أكثر الجاليات اللبنانيّة في أفريقيا الغربيّة تطوّرًا من الناحية الاجتماعيّة بفضل جمعيّاتها وفرقها لكرة القدم في أكرا وكوماسي ونشاطاتها الفروسيّة في أكرا.

بلغ عدد أفراد الجالية اللبنانيّة في نيجيريا عام ١٩٣٨ ٦٧٠ شخصًا هاجروا بشكل رئيسيّ من بلدات مزيارة وجويًا وبيروت وبعض بلدات الشوف والمتن. بلغ عدد مغتربي مزيارة، أقدم المغتربين على الإطلاق، مئتي شخص تقريبًا ويليهم مغتربو جويًا. أقامت أكبر مجموعة من المغتربين في لاغوس وأقام نحو مئة منهم في إيبادان وكذلك في كانو. أمّا الباقي فكان موزّعًا بين زاريا وبورت هاركورت وكالابار واونيتشا وواري وشيكوتا. وكانت إقامتهم في مدن الداخل مقيّدة بالقوانين[1].

برز منهم خلال تلك الحقبة، يوسف بحصلي وهو ملاّك عقاريّ وتاجر أقمشة في لاغوس، محمّد الخليل الذي يعمل في النقل في نيجيريا الغربيّة، وعارف بركات الذي عمل في تجارة الأقمشة وصالات السينما والسينما المتجوّلة في لاغوس، وأبوكوتا وإيبادان، وخليل مارون، الذي عمل في تربية الخنازير وتصنيع القديدة منها للاستهلاك المحلّي والتصدير والذي عمل أيضًا في تجارة فستق العبيد وتصنيعه في كانو، وميخائيل الياس الأكبر سنًّا في الجالية، وجورج خليل الذي يعمل في تجارة فستق العبيد وتصديرها في كانو ولاغوس، وشاوول

(١) راجع، المصدر نفسه، ص ٢٢٢ إلى ٢٢٤ وراجع أيضًا، ريتشارد فراي، البنوك في أفريقيا الغربيّة: قصّة بنك أفريقيا الغربيّة البريطانيّة، هاتشنسون بابكان، لندن، ١٩٧٦، ص ١١٩ و١٢٠.

راكاح الذي أصبح أكبر شارٍ، غير أوروبّي، لفستق العبيد في الشمال.

إزدادت هجرة اللبنانيّين إلى نيجيريا ابتداء من عام ١٩٢٢/١٩٢٣ . كان هؤلاء المغتربون العاملون في تجارة الأقمشة والفستق في كانو، وفي الاستيراد في لاغوس، يملكون ٧٠٪ من متاجر لاغوس و٣٠٪ من مبانيها وبين ١٠٪ و١٥٪ من الأبنية في مدن الداخل وكانوا يملكون أيضًا صالات للسينما في لاغوس وكانو.

وعلى الصعيد الاجتماعيّ انتظموا في عدّة جمعيّات ونوادٍ.

كان في غامبيا جالية لبنانيّة صغيرة بلغ عدد أفرادها عام ١٩٣٨ ٣٠٠ شخص[١]. عانت هذه الجالية من الإجراءات التي قيّدت نشاطاتها، وعمل أفرادها في شراء المحاصيل المحلّيّة وبيع المصنوعات المستوردة. بين هؤلاء التجّار كان خمسة وعشرون تاجرًا يستوردون الأقمشة، أمّا الباقي فكان يسوّق المحاصيل.

لم يتجاوز عدد المغتربين اللبنانيّين في ليبيريا عام ١٩٣٨ المئة. تقيّد عددهم ونشاطهم بالإجراءات الحكوميّة وبمنافسة العبيد المتحدّرين من أصل أمريكيّ. نظّم قانون عام ١٩٢٨ بشكل قاسٍ إقامة الأجانب. لكن رغم ذلك صمدت هذه الجالية وأسّست جمعيّتها الخيريّة في عام ١٩٢٦[٢].

٥ ـ الهجرة اللبنانيّة إلى أفريقيا الناطقة بالبرتغاليّة

إنّ البلاد الوحيدة التي نجد فيها جالية للمغتربين اللبنانيّين هي غينيا ـ بيساو[٣]. بدأت الهجرة إليها في عام ١٩٢٨ وأصبح عدد المهاجرين فيها عام ١٩٣٦/١٩٣٧ نحو خمسين مهاجراً جديدًا. كان جميعهم من المغتربين الذين طردوا من أفريقيا الغربيّة الفرنسيّة أو مُنِعوا من الإقامة فيها وعملوا في تجارة المحاصيل، لكنّهم واجهوا منافسة احتكار البنك الوطنيّ البرتغاليّ لوراء البحار وتجّار الرأس الأخضر. لكن رغم ذلك فقد كانوا يملكون ٧٠٪ من مباني مدن الداخل.

(١) راجع، كامل مروّه، مصدر سابق، ص ٢٢٦ إلى ٢٢٩، ريتشارد فراي، مصدر سابق، ص ١١٧، ١١٨ .

(٢) راجع كامل مروّه، مصدر سابق ص ٢٢٩ .

(٣) راجع مروّة، المصدر نفسه، ص ٢٣٠ و٢٤٣ .

٦ ـ خلاصة عن الهجرة إلى أفريقيا الغربيّة

عشيّة الحرب العالميّة الثانية كانت أفريقيا الغربيّة تضمّ ما يقارب ١٠٨٠٠ مغترب لبنانيّ ـ سوريّ، منهم ١٠١٠٠ مغترب لبنانيّ كما يشير إليه الجدول رقم ٧: ٦٦٪ منهم كانوا يقيمون في أفريقيا الغربيّة الفرنسيّة و٢٨٪ في أفريقيا الغربيّة الإنكليزيّة و٦٪ في بقيّة بلدان أفريقيا الغربيّة.

جدول رقم ٧:

توزّع المغتربين اللبنانيّين في أفريقيا عشيّة الحرب العالميّة الثانية

المنطقة	البلد	عدد المغتربين
المستعمرات الفرنسيّة	السنغال	٢٨٠٠
	غينيا	١٦٠٠
	داكار	١٦٠٠
	شاطئ العاج	٧٠٠
	السودان	٤٠٠
	داهومي	٤٠
	موريتانيا	٢٠
	النيجر	١٠
المجموع		٧١٧٠
المستعمرات الإنكليزيّة	سيراليون	١٠٠٠
	شاطئ الذهب	١٠٠٠
	نيجيريا	٧٠٠
	غامبيا	٣٥٠
المجموع		٣٠٥٠
بلدان أخرى	غينيا البرتغاليّة	٤٠٠
	ليبريا	١٠٠
	التوغو	٨٠
المجموع		٥٨٠
المجموع العامّ		١٠٨٠٠

المصدر: كامل مروّه، مصدر سابق، ص ١٩٢ ـ ١٩٣.

٧ ـ الهجرة إلى أستراليا بين الحربَين العالميَّتَين

توقَّفت الهجرة إلى أستراليا خلال الحرب العالميَّة الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) ولم تنطلق إليها من جديد إلاّ خلال عام ١٩٢٥ وذلك لمدَّة قصيرة فقط لأنّ الحكومة باشرت بتطبيق سياسة استراليا البيضاء التي بموجبها منع الأسيويّون والأفريقيّون من الهجرة إليها. سرى مفعول هذا القانون على اللبنانيّين ولم يرفع الحظر عن سفرهم إليها إلاّ بعد مضيّ بعض الوقت أثناء تولّي السرّ وليم موكال منصب الحاكم العامّ على أستراليا.

أرسل المجلس النيابيّ اللبنانيّ عام ١٩٢٩ أحد أعضائه يوسف إسطفان (من قرية كفرصغاب في لبنان الشماليّ والتي كان أبناؤها يشكّلون جالية في أستراليا وكلّفه بمهمّة استطلاع أوضاع الجالية اللبنانيّة فيها. ولدى عودته منها قدّم تقريرًا مفصّلاً للمجلس النيابيّ يعتبر من أقدم المستندات التي عالجت أوضاع الجالية اللبنانيّة في أستراليا.

يتبيّن أنّ هجرة اللبنانيّين إليها كانت بطيئة خلال تلك الحقبة. كان عدد المولودين في لبنان والمقيمين في أستراليا عام ١٩٢١ ـ ١٨٠٣ مقابل ١٥٢٧ عام ١٩١١ أي زيادة قدرها ٢٠٪ خلال عشر سنوات وارتفع هذا العدد إلى ٢٠٣٠ عام ١٩٣٣ أي زيادة قدرها ١٠٪ خلال اثنتَي عشرة سنة. وتدنّى هذا العدد إلى ١٨٨٦ شخصًا عام ١٩٤٧ ممّا يعني أنّ معدّل الوفيات كان مرتفعًا بين أبناء الجالية في تلك الأثناء أو أنّ البعض قد عاد إلى لبنان ويبدو لنا هذا عاملاً جديرًا بالاهتمام.

عرفت الهجرة إلى أستراليا تباطؤًا دام حتّى نهاية الحرب العالميّة الثانية: بعد فترة من الازدهار الاقتصاديّ دامت من عام ١٩٢١ إلى عام ١٩٢٩ تأثّرت أستراليا بالأزمة الاقتصاديّة العالميّة من انخفاض أسعار القمح والصوف وتدنّي القيمة الشرائيّة، وشلّ الأعمال، والبطالة، وشروط الدائنين البريطانيّين القاسية التي ترجمت بانخفاض الأجور والمصاريف العامّة. ولم يعزّز وجود هذه الأزمة الهجرة إلى أستراليا التي لم تتمكّن من اجتيازها إلاّ عام ١٩٣٧ . وانعكست الحرب

العالمية الثانية عليها بتدنّي مستوى الحياة. وتمكّنت أستراليا من حلّ قضايا إعادة تأهيل اليد العاملة بنجاح بعد الحرب، لكنّها لاقت صعوبات رافقها تضخّم ماليّ هدّد السياسة الاجتماعيّة للدولة.

عرف لبنان بدوره آثار الأزمة الاقتصاديّة لعام ١٩٢٩ في كلّ القطاعات: الاقتصاديّة، الزراعيّة، التجارة الخارجيّة والداخليّة، البنوك والنقد والمال[١]. فرغم هذه الأزمة وانخفاض المداخيل[٢] تدنّى المعدّل السنويّ لتدفّق الهجرة من ٦٠٠٠ عام ١٩٢٨ إلى ١١٧١ عام ١٩٣٢[٣] ثمّ بدأ يتحسّن تدريجيًّا ليبلغ ٣٣١٥ عام ١٩٣٧[٤].

وهذا يبيّن لنا أنّ الوضع في بلاد الاغتراب كان يتحكّم إلى حدّ كبير بحجم تدفّق الهجرة من لبنان.

٨ ـ الهجرة اللبنانيّة عشيّة الحرب العالميّة الثانية

غادر أكثر من ٨٠ ٠٠٠ لبنانيّ بلادهم باتّجاه بلدان الاغتراب بين عام ١٩٢١ و١٩٣٩، ممّا يعني متوسّطًا سنويًّا يفوق ٤٤٠٠ مغادر في السنة.

كانت غالبيّة اللبنانيّين الذين هاجروا قبل الحرب العالميّة الأولى من الفلاّحين الفقراء، الأمّيّين تقريبًا. أمّا في الحقبة الممتدّة بين الحربين العالميّتين فطالت الهجرة سكّان المدن اللبنانيّة خاصّة العاطلين عن العمل منهم[٥]. نلاحظ أنّ تأثير أزمة عام ١٩٢٩ لم تؤدّ فقط إلى لجم الهجرة بل خفّضتها.

---

(١) راجع سعيد حمادة وآخرون. النشاط الاقتصاديّ في لبنان وسوريا. منشورات الجامعة الأميركيّة في بيروت، بيروت ١٩٣٦، الفصول الرابع والسابع والتاسع والتاسع والعاشر.

(٢) راجع المصدر نفسه، ص ١٠١ و١٠٤.

ـ راجع فؤاد أبو عزّ الدين وجورج حكيم، مساهمة لدراسة شروط العمل في لبنان، في مجلّة العمل الدوليّة، المجلّد ١٨، العدد رقم ٥، تشرين الثاني ١٩٣٣.

(٣) راجع سعيد حمادة وآخرون، مصدر سابق، ص ١٦.

(٤) راجع بطرس لبكي، الهجرة اللبنانيّة في عهد الانتداب الفرنسيّ، في محلّة حتّون، المجلّد السابع عشر ١٩٨٢ ـ ١٩٨٤، بيروت، ص ٤ و٥.

(٥) راجع كامل مروّه، مصدر سابق، ص ٢٠٣.

توزّع المغتربون الذين اختاروا الجنسيّة اللبنانيّة بموجب المعاهدة الفرنسيّة التركيّة الموقّعة عام ١٩٣٧ كما يظهر في الجدول رقم ٨.

أمّا توزيعهم بحسب بلدان الاغتراب فقد قدّر تقريبًا كما يلي:

ـ البرازيل	٤٠ ٠٠٠
ـ الأرجنتين، التشيلي والأوروغواي	٣٨ ٠٠٠
ـ الولايات المتّحدة الأمريكيّة وكندا وكوبا وهايتي وجامايكا والأنتيل	٣٦ ٠٠٠
ـ أمريكا الوسطى وكولومبيا وبوليفيا وفنزويلا والبيرو والأكوادور	١٢ ٠٠٠
ـ المكسيك	١٢ ٠٠٠
ـ أوستراليا ونيوزيلندا وأندونيسيا وجزر الباسيفيك	٦ ٠٠٠
ـ أفريقيا الفرنسيّة	٥ ٠٠٠
ـ أفريقيا الإنكليزيّة وأفريقيا الجنوبيّة	٥ ٠٠٠
ـ أوروبّا	٣ ٠٠٠
ـ مصر	١ ٠٠٠
ـ بلدان أخرى	١ ٥٧١
المجموع	١٥٩٥٧١

جدول رقم ٨:

المغتربون الذين اختاروا الجنسيّة اللبنانيّة عام ١٩٣٧ موزّعين حسب طوائفهم.

المحافظة أو القضاء	سنّة	شيعة	دروز	موارنة	روم كاثوليك	روم أرثوذكس	بروتستانت	لاتين أومن بهودية	المجموع
بيروت	٢٩٧	٢٠	٣٩	٢٨١٢	٦١٣	٢٢٧٥	٥	٨٣٨	٦٨٩٩
صيدا	٣١	٥٢	١١٥٣	٧٢٤٠	١٢	٨٦١	—	٣	٩٣٥٢
المتن	—	٥	١٧٢	١٢٥٨٦	٥٠٤	٢٠٩٤	—	٧	١٥٣٦٥
الشوف	١٦١	١٦	١٧٧٥	٦٤٩٧	٧٦٢	٢٢	١٢	٢	٩٢٤٧
عاليه	٣	١٦	١٠٣٢	٤٩٢٢	٣٧٠	١٣٦٩	١٦	٦	٧٧٣٤
كسروان	١٠	٤٠	—	١٨٣١٦	١٠١	١٩٦	—	٣	١٨٧٤٦
مجموع جبل لبنان	٤٠٥	١٢٩	١٤٦٢	٤٩٥٨١	١٨٠٩	٤٥٣٩	٢٨	٢١	٦٠٤٤٤
الكورة	٧٩	٢١٩	—	٢٧٩٤	—	٧٢٤٥	—	—	١٠٣٣٩
زغرتا	٦٥	—	—	١٦٠٠٥	—	١٨٥	—	—	١٦٢٥٥
البترون	٢٣	٤٠	—	٦١٠٠	٤٠٠	٢٠٥٩	—	—	٨٦٢٧
عكّار	٦١١	—	—	٣٤٦٩	١٧٧	٥٦٠٧	١٠٦	—	٩٩٧٠
طرابلس	٩٥٣	—	—	٨٣٣	١٢	٣٤٠٨	—	١	٥٢٠٧
مجموع لبنان الشمالي	١٧٢١	٢٥٩	—	٢٩٢٠١	٥٩٤	١٨٥٠٦	١٠٦	١	٥٠٣٩٨
صيدا	٨٤	١٧٦٢	٢	٧٧٥	١٠٠٥	٥	١٠	٥٨٧	٤٢٣٠
صور	٣٨	٤٧٣٦	—	١٠٨١	١٠٩٤	٨٨	٣٩	١	٧٠٧٧
مرجعيون	٦٦٧	١١٣٦	٣٢٩	٩١٤	٧١١	٤٧٧٨	٥٠٧	—	٩٠٤٢
حاصبيا	٥٠	٢١٣	—	٣٩٦٦	٥٣٩	—	—	—	٤٧٦٨
مجموع لبنان الجنوبي	٨٢٤	٧٨٤٧	٣٣١	١٧٣٦	٣٣٤٩	٤٨٧١	٥٥٦	٥٨٨	٢٥١١٧
زحلة	١٥٧٩	٢٢٨	٨	٢١١٣	٤٣٧٢	١٨٣٩	١٥	٤٢	١٠١٩٤
بعلبك	٥٣	٧٩٣	—	٦٨٥	٦٢٢	١٦٢	—	—	٢٣١٥
الهرمل	٥١	٧٤	—	٣٥	١٨٧٩	—	—	١٤	٢٠٥٣
مجموع البقاع	١٥٨	١٧	٣٥٣	١١٣	٣٤	١٤٦٦	—	١١	٢١٥٢
مجموع لبنان	١٤٨١	١١١٢	٣٦١	٢٩٤٦	٦٩٠٧	٣٤١٤	١٥	٦٧	١٦٧١٣
	٤٩١٣	٩٣٦٧	٤٨٦٢	٩٠٢٧٦	١٣٢٧٢	٣٣٦٦٥٥	٧١٠	١٥١٥	١٥٩٥٧١

المصدر: إيلي صفا، مرجع سابق، ص ٢٩٠.

قبل نهاية الحرب العالميّة الثانية كان عدد المغتربين اللبنانيّين الذين اختاروا الاحتفاظ بجنسيّتهم اللبنانيّة ٢٥٩١٨٦ شخصًا كما يظهر في الجدول رقم ٩.

جدول رقم ٩:

عدد المغتربين التقريبيّ الذي احتفظ بالجنسيّة اللبنانيّة

الفئة	العدد
ـ إختاروا الجنسيّة بين ١٩٢٤ و١٩٢٦ بموجب المادّة ٣٤ من معاهدة لوزان وقرار المفوّض السامي رقم ٢٨٢٥	١٨٢٠٧
ـ إختاروا الجنسيّة بين عام ١٩٣٧ ـ ١٩٣٩ بموجب المعاهدة الفرنسيّة التركيّة الموقّعة عام ١٩٣٧ التي مدّدت سنتين للمهلة الملحوظة في المادّة ٣٤ من معاهدة لوزان	١٥٩٥٧١
ـ المغتربون بين ٣١ آب ١٩٢٤ و٣١ كانون الثاني من عام ١٩٣٢	٦٨٠٠٣
ـ المغتربون بين عام ١٩٣٢ وعام ١٩٣٨	١٣٤٠٥
المجموع	٢٥٩١٨٦

المصدر: إيلي صفا، مرجع سابق، ص ٢١، ١٩٦ ـ ١٩٨.

٩ ـ خلاصة

بالرغم من الضعف النسبيّ لحركة الهجرة في عهد الانتداب، تستحقّ هذه الحقبة من تاريخ الهجرة اللبنانيّة تخصيص بعض الأبحاث المعمّقة لدراستها لأنّها لا تزال غير معروفة كفاية، فهي المفصل الذي يربط بين حقبتين كبيرتين من تاريخ الهجرة اللبنانيّة المعاصرة، حقبة ما قبل عام ١٩١٤ والحقبة التي تلي عام ١٩٤٥*.

(*) ظهرت هذه المقالة بالفرنسيّة في مجلّة حتّون، بيروت، ١٧ (١٩٨٢ ـ ١٩٨٤) فنقلها هنا مؤلّفها إلى العربيّة مع زيادات لاسيّما في ما يخصّ الهجرة إلى أستراليا.

Parus à Dar el-Machreq

Nina Jidéjian: *Byblos à travers les âges*
— : *Byblos through the ages*
— : *Beirut through the ages*
— : *Sidon through the ages*
— : *Tripoli through the ages*
— : *Tyre through the ages*
— : *Baalbeck-Heliopolis «City of the Sun»*
George Taylor: *The Roman Temples of Lebanon*
J. de Maussion de Favières: *Damascus and Baghdad, capitals and lands of the caliphs.*
Damas et Bagdad, capitales et terres des califes

22 × 23 cm. Reliés sous jaquette. Illustrés